

أنسنة الحيوان في القصة الجزائرية القصيرة جدا قصص سعاد صايبة أنموذجا

Animal Humanisation in Algerian Flash Fiction :The Stories of Souad

Saïba as a Model

أحلام شرقي¹ *، مخبر علم تعليم العربية، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر،

ahlem.chergui@ensb.dz

عمر عاشور²، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، achour.amar@ensb.dz

تاريخ قبول المقال: 2025-11-11

تاريخ إرسال المقال: 08-08-2025

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في تقنية أنسنة الحيوان، هذه التقنية التي عرفت مختلف الثقافات والاجناس الأدبية، وتحاول الكشف عن تجلياتها في الجنس الأدبي الجديد القصة القصيرة جدا باعتبار هذه التقنية تتناسب مع سماتها من إيجاز وسخرية ومفارقة، وذلك عبر الكشف عن الرموز التي تعبر عنها الشخصيات الحيوانية والقضايا التي يراد التعبير عنها، وقد استعانت القصة الجزائرية القصيرة جدا بعالم الحيوان كمثيلاتها نظرا لما يمنحه من قدرة تصويرية ومساحة تعبيرية. ومن هذه النماذج قصص سعاد صايبة في مجموعتها القل الق جدا (أجراس).

الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة جدا، أنسنة الحيوان، الشخصية الحيوانية، السخرية والإدهاش.

Abstract:

This study aims to explore the technique of animal humanisation, This technique known across various world cultures and literary genres, is particularly suited to the Flash Fiction due to its inherent features such as brevity, irony, and the paradox. The research seeks to uncover how animal characters are used symbolically and what kinds of issues are addressed through this literary strategy. The study focuses on Algerian flash fiction as a case in point, where similar to global practices, animal figures offer rich expressive and imaginative potential. Among the examples examined are the stories of Souad Saïba in her flash fiction collection Ajras (Bells).

Key words : flash fiction, animal humanisation, animal character, irony, astonishment.

* أحلام شرقي .

مقدمة:

إن التشابه الذي لاحظته الإنسان بين عالمه وعالم الحيوان جعله في اتصال دائم مع هذا العالم في محاولته لفهمه ؛ ومن ثم جعله وسيلة لكشف كنه عالمه البشري المعقد، وقد تعدت علاقة الإنسان بالحيوان في بيئته علاقة الاستغلال والمنفعة بل انعكست على جانبه النفسي وتراثه الثقافي، فصار الحكي على لسان الحيوان أو أنسنة الحيوان تقليدا ثقافيا عرفته معظم ثقافات العالم بدءا بالإغريقية والهندية والفارسية وكذا العربية، وقد لجأ إليه الشعراء والأدباء والفلاسفة لأنه يمنح حرية في التعبير لا يمنحها الخطاب المباشر، كما أنه يعيد سلطة التأثير التي فقدها الكلام العادي عبر شخصيات لا تعقل ولا تنطق، ولكنها تمنح تنوعات قد لا يتيحها عالم البشر، والثقافة العربية منذ بداياتها استغلت عالم الحيوان في موروثها الشفهي بداية بالأمثال والأشعار والقصص، ثم مختلف الأجناس الأدبية الحديثة كالقصة القصيرة والرواية ...، وحتى الأحداث (ما بعد حداثة) كالقصة القصيرة جدا فمنذ ظهورها استفادت من هذه التقنية لأنها تتناسب وسماتها من تكثيف وسخرية وإدهاش؛ وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية رصد تجلياتها في القصة الجزائرية القصيرة جدا والكشف عن المعاني الخفية التي عبرت عنها بتوسلها بعالم الحيوان واستغلال إمكاناته الجمالية وطاقاته التعبيرية في مجموعة (أجراس) القصصية القصيرة جدا للقاصة الجزائرية "سعاد صايبة " ، و انطلاقا من هذا نطرح مجموعة من التساؤلات :

كيف كانت علاقة العرب بالحيوان في بيئتهم من خلال تراثهم الشفهي والمكتوب ؟
كيف استفادت القصة القصيرة جدا من تقنية أنسنة الحيوان في ترميزها للقيم الاجتماعية والقضايا السياسية؟

ماهي المعاني والقيم والقضايا التي عبرت عنها قصص سعاد صايبة على لسان الحيوان ؟ و أين تكمن الجمالية في توظيف الحيوان ؟

المبحث الأول: الحكي بلسان الحيوان في تراثنا العربي

سنحاول في هذا المبحث تتبع حضور الحيوان في حياة العرب ومدى تأثيرهم بحيوانات بيئتهم من خلال كلامهم وصولا لاستغلاله كتقنية في القص .

المطلب الأول: الحيوان في الأمثال والأشعار العربية

ارتبطت حياة العربي قديما بالحيوان الذي يقطن بيئته، فكان راحلته التي ينتقل بها في الصحراء ورفيقه في السفر، وحارسه الأمين ، ومأكله وملبسه، وصاحبه في الحرب والصيد، وقد تجلت هذه العلاقة المتينة في موروثه الثقافي، لأن عالم الحيوان الرحيب بحيواناته البرية والبحرية وطيوره وزواحفه يمنح حرية أكبر

أنسنة الحيوان في القصة الجزائرية القصيرة جدا قصص سعاد صايبة أنموذجا

يتحول معها إلى مصدر للحكمة والمعرفة ولسان للأخلاق والفضائل، وقد عرفته أولا العديد من الثقافات كال يونانية والهندية والفارسية، ونجده في ثقافتنا العربية في فترة مبكرة من تاريخها لأن العربي تنبّه لصفاته وخاصة الوحشي منها ، فسمى أبناءه بأسماء حيوانات للدلالة على القوة والفتنة والذكاء والمكر من مثل: الصقر والهيثم والعقاب وعكرمة ... كما أطلقوا أسماء بعض الحيوانات على الأماكن مثل: دارة الذؤيب ودارة العجلة ودارة الكبشات ¹ وشمل هذا الاهتمام منطقتهم فنجد أن العرب استعملت الحيوان في ضرب الأمثال وهذا للرمزية التي يمنحها عالم الحيوان وقياسه بعالم الإنسان، فتتبع أحوال الحيوان وصفاته وطباعه وشابهاها بأفعال البشر لاستخلاص الدروس والعبر، ويكفي أن نطالع مصادر الأمثال لنكتشف ذلك، " فلم تخل أقدم المصنفات في الأمثال من ذكر للحيوان، فالمفضل الضبي (ت171هـ) أورد طائفة من أمثال الحيوان في مصنفه المشهور (أمثال العرب) ومنها : استتوق الجمل (ص174)، أشام من ناقة البسوس (ص130)، سمن كلبك يأكلك (ص160)....² كما أننا نجد قائمة طويلة في المصنفات الأخرى للأمثال العربية، ولم يرد الحيوان في نثرهم فقط بل إنه وصف في شعرهم ، فلا نكاد نعثر على قصيدة أو مقطوعة شعرية إلا ووجدنا فيها ذكرا للحيوان تشبها به في صفة من صفاته أو إعجابا به ووصفا له أو سردا لرحلة الصيد أو استئناسا به في السفر، فهذا امرؤ القيس يصف فرسه :

وقد أعتدي والطيّر في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل ³

وعند قراءة الشعر الجاهلي نجده حافلا بهذه الأمثلة ولدى جميع الشعراء على اختلاف طبقاتهم وقبائلهم، وذلك أن العربي عاش في مساس دائم مع الطبيعة ومع حيواناتها، وعند مجيء الإسلام ونزول نصه المعجز، نراه يستلهم العبر والحكم من عالم الحيوان فيضرب به الأمثال ويدعو الإنسان إلى تدبر هذا العالم بما فيه من حيوانات مختلفة الصفات ،فقد حفل النص القرآني بقصص الحيوان بدءا بقصة أبناء سيدنا آدم حينما جاء الغراب وعلم الإنسان كيف يوارى جثث موتاه، وقد جرى ذكره في سياقات مختلفة، كآية من آيات الله (كالنحل) أو معجزة من معجزات أنبيائه (كناقّة سيدنا صالح) أو شخصية من شخصيات القصص (الهدهد والنملة مع سيدنا سليمان)، "وذكر في أكثر من 140 آية من آيات القرآن

¹ محمد عجيبة : موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دارالفارابي، بيروت، ط1، 1994، ص281_282.

² عفيف عبد الرحمن: الحيوان في الأمثال العربية القديمة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج 5، ع19، 1985، ص50_51.

³ شرح ديوان امرؤ القيس: تحقيق حسن السندوبي، دار إحياء العلوم ،بيروت ،لبنان ،ط1، 1990، ص175.

الكريم¹ وهذا يوحى بأهمية الحيوان و قدرته على تعليم الإنسان الدروس والعبر، فاستلهم العرب في الجاهلية منه بعض أمثالهم واتخذوه القرآن مثلا وآية تدعو الإنسان إلى التفكير والتدبر.

المطلب الثاني: الحيوان في النثر والشعر المدون

انتقل الحكمي بلسان الحيوان إلى تراثنا الأدبي عن طريق الترجمة، وذلك في العصر العباسي على يد ابن المقفع (ت142هـ) الذي ترجم كتاب (كليلة ودمنة) من الفارسية إلى العربية؛ وتعتبر أشهر ترجمة لهذا الكتاب نظرا لقيمتها الفنية، فهذا الكتاب "يعد أول كتاب في موروثة الحكائي، انتقل بقصص الحيوان من المرحلة الشفاهية (الفولكلورية) عند العرب إلى المرحلة الكتابية (الأدبية) ومن هنا تتجلى قيمته التاريخية والفنية معا، باعتباره أول كتاب قصصي في تاريخ الأدب العربي مجموع في صعيد واحد متخصص في فن سردي واحد هو قصص الحيوان الرمزية الأليغورية"² تروي القصة الإطار لكتاب كليلة ودمنة والتي أوردها ابن المقفع في مقدمة كتابه قصة ملك هندي ظالم "دبشليم" يطلب من الفيلسوف والحكيم "بيدبا" أن يؤلف له خلاصة الحكمة، فكانت حكايات كليلة ودمنة على لسان الحيوان، وهما حيوانان من ابن آوى يهدف من خلالها إلى إصلاح الأخطاء وتهذيب العقول، والمقصود هو ردع الملك عن ظلمه واستبداد.

وبهذا سن ابن المقفع طريقا لكل سالك لهذا المسلك وهو الحكمي بلسان الحيوان، وقد ظهرت العديد من المؤلفات التي نهلت من قصص كليلة ودمنة شعرا ونثرا ومازالت معينا لكثير من المبدعين في عصرنا هذا.

ففي أوائل القرن العشرين نظم (محمد عثمان جلال) ديوان "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" ذكر في مقدمته أنه أخذ عن (أيزوب اليوناني)، وفي ديوان الشوقيات قسم خاص بالحكايات على لسان الحيوان في الجزء الرابع، وقد نظمها تطلعا منه إلى إغناء الأدب العربي على إثر اطلاعه على الأدب الفرنسي، وهو يقصد الشاعر الفرنسي "لافونتين" الذي نظم حكايات كثيرة متأثرا بالحكيم الهندي بيدبا الذي تروى حكايات كليلة ودمنة على لسانه، كما اطلع على ما كتبه "أيزوب" اليوناني، ولكنه استكمل القواعد الفنية لهذا النوع الأدبي، ونبغ فيها حتى أضحى مثالا لمن حاكوه في الآداب العالمية³ وقد

¹ أمال فرفار: الكتابة المتوسلة بلسان الحيوان في الثقافة العربية (في رمزية الخرافة و فنياتها ومقاصدها)، مجلة العلوم الإنسانية، مجلد أ، ع 42، ديسمبر 2014، ص103.

² محمد رجب النجار: النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابة، فنونه، مدارس، أعلامه، الكويت، ط1، 1996، ص256.

³ أحمد شوقي: ديوان الشوقيات الجزء الرابع، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1961، ص75.

جاءت هذه المنظومات الشعرية متأثرة بكليلة ودمنة بطريق غير مباشر، حتى وإن صرح كلاهما بتأثره بأيزوب أو لافونتين فإن هذين الأدبيين بدورهما تأثرا بدورهما بكتاب ابن المقفع المترجم إلى كثير من اللغات، وهذه الحكايات تتطوي _ إلى جانب غايتها التعليمية ومغزاها الخلفي _ على "رسالة اجتماعية وسياسية وإنسانية ذات أثر كبير في توجيه المجتمعات كلها نحو غايات رفيعة سامية"¹ ونظرا لهذه الرسالة التي حملها الحكي بلسان الحيوان صار فنا قائما بذاته وبخصائصه الفنية وغاياته ومقاصده، فنهل من الأنواع الأدبية الأخرى واستثمرت خاصية الحكي بلسان الحيوان، كالقصة والرواية والمسرحية والشعر وأدب الطفل.... واستفادت منه الأنواع الجديدة المنبثقة عن الأولى كالقصة القصيرة جدا.

المبحث الثاني: الشخصية الحيوانية في القصة القصيرة جدا

بما أن القصة القصيرة جدا جنس سردي له خصوصيته فإن دراسة الشخصية الحيوانية تستدعي التعرف على كيفية تقديم الشخصية في هذا الجنس الوجيه ثم التعرف على الشخصية الرامزة فيها ومنها الشخصية الحيوانية.

المطلب الأول: الشخصية في القصة القصيرة جدا

تعد القصة القصيرة جدا جنسا أدبيا ما بعد حدائثي وذلك بالنظر إلى خصائصه البنائية التي تميزه عن غيره من الأجناس الأخرى، حتى وإن كان يشترك مع كثير منها في هذه العناصر، كالإيجاز والتكثيف والمفارقة والدهشة، وفعالية الجمل والحكاية وغيرها..... ونقصد بالحكاية أو القصصية هو أن تتوفر عناصر القص فيها كالشخصية والحدث والزمن والمكان... غير أن طريقة تقديمها تختلف في هذا الجنس نظرا لإيجازه وتركيزه.

والقصصية القصيرة جدا تكتفي في تقديمها للشخصية بما هو "ضروري ومختزل وهو ما قادها إلى الاكتفاء بعدد محدود جدا من الشخصيات قد لا يتجاوز شخصية واحدة في بعض الأحيان"² فالشخصية في القصة القصيرة جدا قد لا تستوف جميع طرق بناء الشخصية التي تمنحها مساحات السرد الطويلة في القصة القصيرة أو الرواية، فتكتفي بإشارات وتلميحات ويسهم خيال القارئ فيما بعد بإكمال ملامح الشخصية، كما أن الشخصية لا تنمو من حالة الاستقرار إلى حالة التأزم، فقد ينطلق السرد من لحظة تأزمها على اعتبار أنها اللحظة الخاطفة التي اختارت القصة القصيرة جدا نقلها، وتتحوّل معها عناصر القصة إلى أطيايف فهي "قص مختزل وامض، يحول عناصر القصة من شخصيات وأحداث وزمان

¹ عزيزة مريدن: القصة الشعرية في العصر الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988، ص189.

² جاسم خلف إلياس: شعرية القصة القصيرة جدا، دار نينوى، دمشق، 2010، ص103.

أنسنة الحيوان في القصة الجزائرية القصيرة جدا قصص سعاد صايبة أنموذجا

ومكان إلى مجرد أطيايف، ويستمد مشروعيته من أشكال القص القديم كالنادرة والطرفة والنكتة¹ فالتركيز في القصة القصيرة جدا يكون على الحدث أو الفعل أكثر من الشخصية ذاتها و" الشخصية هي التي تصنع الحدث، والحدث هو لب الحكاية التي لا تقوم قصة من دونها. و ينبغي ألا يقود ذلك إلى نوع من المبالغة، كالادعاء بأن للشخصية أهم أركان القص، فليس ثمة ركن أهم من الآخر، بل إن الأركان تتضافر فيما بينها لتقديم بنية القصة ورؤيتها"² وبهذا فالقاص في الق القص جدا غير ملزم بتقديم كل ملامح الشخصية الجسدية والنفسية (الداخلية والخارجية) وقد يكتفي بجانب واحد فقط لأن ما يهمه هو اللحظة المتأزمة للشخصية "فيختار أكثر ملامح الشخصية مناسبة للدلالة، من أجل إظهار تناقضها وأزميتها بالمقارنة مع السياق الطبيعي، ليخلق من خلال ذلك صدمة للمتلقي تقوده إلى التأمل في المعاني الكامنة وراء ذلك الملمح البارز"³ فاختيار ملمح ما من الشخصية يكون خادما لبناء القصة وسيرها نحو نهايتها(قفلتها) .

ونظرا للمساحة السردية القصيرة في هذا الجنس السردى فإن الشخصيات بمختلف وظائفها (المساعدة، المعيقة، الفاعلة، المكملة، الطيفية، الرامزة ...) لا يمكن إيجادها جميعا في نص واحد فيكتفي القاص بعدد محدود منها ، وقد تكتفي بعض القصص بشخصية واحدة ، مما يعني أن الوظائف الأخرى يلمح إليها أو تترك للقارئ حتى يستنتجها، كأن "تكتفي بالشخصية الفاعلة والمعيقة ، وربما بشخصية واحدة تضعها في مواجهة ظرفها المضاد"⁴ وهذا لا يعني أن القصة القصيرة جدا تبتدع طرقا جديدة في تقديم للشخصية ،ولكنها تلتزم بجانب واحد من جوانب التعريف بالشخصية في السرد، لأن طابعها الاختزالي يفرض عل القاص ذلك كان يدعو الشخصيات بضمائر الغائب (هو،هي) دون أن يطلق عليها أسماء علم أو يذكر أفعالها فقط لأنها تقتنص مشهدا من مشاهد الحياة أو لحظة خاطفة وتقدمها من خلالها .

المطلب الثاني: الشخصية الرامزة في القصة القصيرة جدا (أنسنة الحيوان)

لا تعتمد القصة القصيرة جدا على الشخصيات البشرية فقط بل تستعين بالشخصية الأسطورية والحيوانية وهذا منذ ظهورها في الأدب اللاتيني على يد الكاتب الغواتيمالي (أوغوستو مونتيروسو Augusto Monterroso) في نصه المشهور "الديناصور" والذي يتكون من ست كلمات

¹ مينو ، محمد محي الدين ، فن القصة القصيرة: مقاربات أولى ، وسوم عدي -الإمارات، ط 2، 2007، ص38.

² عبد المالك مرتاض : الرواية جنسا أدبيا ،مجلة الأقاليم العراقية ،ع11،12، 1986، ص 137.

³ يوسف حطيني : دراسات في القصة القصيرة جدا ،مطابع الرباط نت، المغرب، 2014، ص34.

⁴ المرجع نفسه، ص 36.

أنسنة الحيوان في القصة الجزائرية القصيرة جدا قصص سعاد صايبة أنموذجا

ونصه "عندما استيقظ ، كان الديناصور لا يزال هناك "¹ وقد استهلك هذا النص مقارنة نظرا لشهرته ، فقد يكون الديناصور تعبيرا استعاريا أو أن السارد يحيل على شخصية ما بسبب صفاتها الجسدية أو المعنوية. وبعد عقد من الزمن يكتب نفس القاص قصة "الشاة السوداء" نصها : قبل سنين طويلة كانت شاة سوداء في بلاد بعيدة، أعدمت بالرصاص. بعد قرن ، نصب لها القطيع النادم تمثال فارس جميل في الحديقة. هكذا، لكن بالتدرج، كل مرة تظهر شياء سوداء كانت تمر بسرعة أمام الرصاص كي تتدرب أجيال المستقبل من جموع الغنم البسيط ، على بناء التمثال .

تؤرخ هذه رغم قصرها لمجتمعات أمريكا اللاتينية والمجتمعات الإنسانية على حد سواء في مواجهتها للغضب السياسي والتسلط الديكتاتوري وفي نضالها ضد الاستعباد ²

لقد أدرك كتاب القصة القصيرة جدا منذ ظهورها الإمكانيات التي يمنحها الحكي بلسان الحيوان أو التوسل بشخصيات حيوانية وإن اختلفت أهدافهم وغاياتهم من ذلك "الشخصية الرمزية هي تلك الشخصية أو الشخصيات التي يصنعها الكاتب ليبحث القارئ عن شخصية تقابلها في الواقع أو في الخيال ، أي أن بناءها يدفع القارئ ليبحث عن ظلالها خارج النص ، بسبب قدرتها الإحالية على السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي "³ أي أن القاص يحمل هذه الشخصيات دلالات مختلفة سياسية واجتماعية وثقافية وفي الغالب لا تكون بشرية بل حيوانية لما تمنحه من إمكانيات وتنوعات في الطباع والصفات تشبه عالم الإنسان، وتمنحه القدرة والحرية للتعبير عن تناقضات الحياة وعلاقات الإنسان المعقدة بمحيطه .

والقصة العربية القصيرة جدا بدورها استفادت من هذه التقنية ، وهذا منذ ظهورها على الرغم من أن أمر ريادتها غير محسوم بعد إلا أن كثيرا من النقاد يعد جبران خليل جبران رائدا لهذا النوع وإن كان ذلك من غير وعي ؛ فالعديد من القصص التي وردت في مجموعتيه القصصيتين "المجنون " و"التائه" من صميم القصة القصيرة جدا ، من ذلك ماورد في قصة "الثعلب " في مجموعته المجنون :

¹ مصطفى الوريغلي العبدلوي: القصة القصيرة جدا في أمريكا اللاتينية، تصورات نظرية ونماذج إبداعية، مجلة فكر العربية، كلمات للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء، المغرب ،ع2، ماي 2016، ص18.

² محمد أقضاض: مقارنة القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا -في أمريكا الإسبانية والعالم العربي - دار فضاءات، عمان، ط1، 2016، ص 171.

³ يوسف حطيني : القصة القصيرة جدا بين النظرية والتطبيق، دار اليازجي، دمشق، 2004، ص55.

أنسنة الحيوان في القصة الجزائرية القصيرة جدا قصص سعاد صايبة أنموذجا

"خرج الثعلب من مأواه عند شروق الشمس، فتطلع إلى ظله منذهلا، وقال: سأغدو اليوم جملا! ثم مضى في سبيله يفتش عن الجمال الصباح كله. وعند الظهيرة تفرس في ظله ثانية وقال مندهشا: بلى، إن فارة واحدة تكفيني"¹

فالثعلب هنا يشير إلى الإنسان المتعاطف الذي لا يعرف حقيقة قدراته فيتعب جراء ذلك مضيقا أهدافه، فيما يتكفل الزمن بإزالة هذه الغشاوة فيعرف حجمه الحقيقي، إن هذه القصة تستند على أنسنة الحيوان إحدى أهم تقنيات القصة القصيرة جدا كما يشير العديد من النقاد والتي تعني "إعطاء الأشياء الجامدة والحيوانات صفات إنسانية، كأن تتحدث هذه الأشياء وتتجاوز وتحكي إلى الآخر"² فالثعلب هنا يجري حوارا داخليا ويصدر عنه انفعالات إنسانية كالاندهاش، ولكنها رمزية التصوير فهناك ما يشاكلها في عالم البشر.

وهكذا يمنح القص الرمزي أو الحكي بلسان الحيوان جل إمكاناته لمبدعه حتى يتمكن من تلبية نداء أفكاره وآرائه المكبوتة بسبب القمع السلطوي أو العرف الاجتماعي وعبره وصلوا إلى غاياتهم المنشودة، وتراعي هذه الشخصيات الحيوانية الصفات الإنسانية التي يريد المبدع التعبير عنها، فيشبع رغبة المتلقي في المعرفة وبهذا التخفي يقيم علاقة ودية مع السلطة وينفذ من بطشها، فقد يبدو المراد التسلية ولكن المعنى المتخفي يتطلب أعمال العقل، وهذا ما أشار إليه ابن المقفع حين دعا إلى أعمال العقل في قراءة كلية ودمنة، لأنه يدرك أن القراءة السطحية لن تمكننا من الوصول إلى المعنى المتخفي المقصود "وينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له، وإلى أي غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم وأضافه إلى غير مفصح..."³ فهذه الكتابة إذن تضطلع بعدة وظائف أهمها:

1. الوظيفة السياسية: فهي قناع مناسب للنقد السياسي بالإضافة إلى تقويم السلوك السياسي للرعية والراعي.
2. الوظيفة الاجتماعية: تستهدف هذه الوظيفة نقد النظام الاجتماعي والأخلاقي للمجتمع.
3. الوظيفة الجمالية الفنية: فعبر إنطاق ما لا ينطق والمجاز والتكثيف تقدم هذه التقنية عالما خياليا يستهوي القارئ وتدهشه عبر نفي المؤلف ودعوته إلى اسقائه.
4. الوظيفة التربوية التعليمية: تعمل الحكايات بلسان الحيوان على إشباع خيال الطفل وتنمية مهاراته اللغوية وتبسيط المعارف وتكوينها عن طريق الحكي.

¹ جبران خليل جبران: المجنون، ترجمة أنطونيوس بشير، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1985، ص32.

² أحمد جاسم الحسين: القصة القصيرة جدا، مقاربة بكر، منشورات دار عكرمة، دمشق، 1997، ص46.

³ عبد الله بن المقفع: كلية ودمنة، منشورات نوميديا، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص51.

المبحث الثالث: أنسة الحيوان في القصة الجزائرية القصيرة جدا

سنبحث في هذا المبحث عن نشأة القصة القصيرة جدا في الأدب الجزائري، ونحاول أن نتبين مميزات القص بلسان الحيوان في قصص القاصة الجزائرية "سعاد صايبة" في مجموعتها "أجراس" بدءا بقراءة عناوين القصص باعتبار العنوان رأس لهذا النوع القصصي.

المطلب الأول: القصة القصيرة جدا في الجزائر

لقد تأخر ظهور القصة القصيرة جدا في الجزائر حتى التسعينيات ، ثم شهدت انتشارا واسعا خلال بداية الألفية الجديدة مع الانفتاح الإلكتروني، حين أصبح هذا الفضاء ملاذا لنشر الإبداعات وتكوين النوادي الخاصة بهذا الجنس، ومازال أمر الريادة لم يحسم بعد ذلك أن المجاميع القصصية حوت قصصا قصيرة جدا كتبها أصحابها بوعي أو بغير وعي " نذكر منهم "حسين فيلالي" في مجموعته القصصية (السكاكين الصدئة 1991) ...التي تضمنت قصصا لم تتجاوز الصفحة ونصف الصفحة كقصة السكاكين الصدئة وعدها بعض النقاد قصة قصيرة جدا بالنظر إلى حجمها وسماتها الفنية وتقنياتها السردية المتميزة التي كتبت بها "1 أما الناقد مخلوف عامر فإنه يرجع هذا الفن إلى أبعد من هذا التاريخ حين يعد القاص "محمد الصالح حرز الله" أول من كتب هذا الجنس في الجزائر في مجموعته القصصية (الأبواب الموصدة) والتي أنهاها بأربع قصص وصفها بالقصيرة جدا وهي :الطلقة ،الإخصاب، الولادة، المجرى والتي صدرت سنة 1984 2 إن هذه القصص ظهرت ضمن مجاميع قصصية للقصة القصيرة وقد حملت سمات القصصية القصيرة جدا من إدهاش ومفارقة وتكثيف.....ولكن رغم هذا الظهور لم يتطور هذا الفن في الجزائر بشكل كاف وانتظرنا حتى عام 2004 حين أصدرت المكتبة الوطنية و دار البرزخ مجموعة قصصية لعبدالرزاق بوكبة موسومة ب" من دس خف سيبويه في الرمل " ،ولكنها لم تحمل تجنيسها ، إلى أن أصدرت القاصة رقية هجريس سنة 2013 مجموعتها القصصية "مقابيس من وهج الذاكرة " وحملت على غلافها الخارجي تجنيسها (قصص قصيرة جدا) وضمت خمسين نصا، ومجموعتها الثانية (زخات حروف) سنة 2014، ومع زوال عقدة الخوف توالى الإصدارات التي حملت تجنيسها في غلافها الخارجي.

أما نقديا فقد بقي حبيس الرسائل الأكاديمية والمقالات العلمية في الجزائر إلى أن أصدر الناقد والأكاديمي (علاوة كوسة) أنطولوجيا له سنة 2017 تضم العشرات من كتاب هذا الجنس في الجزائر

¹ رايح بن خويا، ظاهرة القص القصير جدا في الأدب العربي، النشأة والتطور، دار الباحث، برج بوعريش، الجزائر، ط1، 2021، ص61.

² مخلوف عامر: القصة القصيرة في المسار السردى، منشورات الوطن، سطيف، الجزائر، 2019، ص48.

رغم أنه فوت العديد منهم، ومن بين هؤلاء: الأخضر بوربيعة، الخير شوار، السعيد بوطاجين، السعيد مرابطي، جميلة طلباوي، حفيظة طعام، سعاد زدام، سعاد صايبة، مريم بغيغ، نوال بوعويش...¹ كما أطلق القاص الجزائري عبد الرزاق بوكبة جائزة للإبداع القصصي (القصة القصيرة / القصة القصيرة جدا) في إطار عمله الجمعي الثقافي بجمعية (شبكة كفاءة الثقافية برج بوعريرج) ،ومن بين النصوص الفائزة في دورة 2023 المجموعة القصصية القصيرة جدا "أجراس" للقاصة سعاد صايبة والتي سننخذها أنموذجا للدراسة .

المطلب الثاني: أهمية العنوان في القصة القصيرة جدا (قصص سعاد صايبة أنموذجا)

صدرت مجموعة "أجراس" للقاصة سعاد صايبة عن دار وهج سنة 2023، وضمت مائة وأربع عشرة قصة (114)، يتراوح طولها بين السطرين وعشرة أسطر، من بينها خمس عشرة قصة بلسان الحيوان وهي: بيت الصيد، تواؤم، تصويب، تضليل، تيم، جوهر، حنكة، رجم، شرخ، طباع، عزاء، قضي بينهما، لا يستويان!، نبل!، المؤهل²

والعنوان من أهم العتبات النصية في أي عمل أدبي مهما كان جنسه ، لأنه يؤدي وظائف وأدوار لا يؤديها غيره ، فهو حلقة وصل بين النص وقارئه كما أنه يحدد نوع العلاقة بينهما (إعجابا، استغرابا، نفورا....) ففوته التأثيرية على المتلقي إيجابا أو سلبا مكنته من احتلال هذه المرتبة ، و" تحول اهتمام النقاد به من مجرد تمثله كظاهرة نصية عابرة وعرضية كما ساد في الدراسات النقدية التقليدية، إلى الارتقاء به إلى مستوى أكثر تخصصا في نطاق ما صار يدعى لاحقا بعلم العنوان³ " ، وبما أن القصة القصيرة جدا محدودة الطول وقد لا تتجاوز السطرين فإن العنوان يمثل رأسا لهذا الجسد، وهناك عدة أنماط للعنوان يستخدمها كاتب القصة القصيرة جدا :

1. عناوين كلاسيكية تتناسب مع مضامينها
2. عناوين مفارقة لا علاقة لها بمضامين المجموعة لا من قريب ولا من بعيد
3. عناوين لها علاقة جزئية بالمجموعة
4. عناوين لها علاقة كلية بالمجموعة
5. عناوين صادمة وغريبة

¹ علاوة كوسة: موسوعة القصة القصيرة جدا في الجزائر، سير ونصوص، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، الجزائر ط1، 2017.

² سعاد صايبة: أجراس (ق.ق.جدا)، وهج للإعلام، الثقافة والفنون، المسيلة، الجزائر، ط1، 2023.

³ عبد المالك أشهبون: العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2011، ص16.

6. عناوين مباشرة¹

وإذا أردنا تمييز عناوين القصص التي وردت في مجموعة أجراس على لسان الحيوان سيكون ضمن إطار (عناوين صادمة وغريبة) ؛ فرغم أنها تبدو مباشرة لكن الغرابة ليست في العنوان بل في مضمون القصص التي جاءت بلسان الحيوان أو تروي قصصا عن الحيوان ، إذ تعودت ذائقتنا أن تكون العناوين في مثل هذه القصص تحمل إشارة أن شخصياتها حيوانية كما في قصص كليلة ودمنة أو في القصص القصيرة جدا، وهذا ما يوثق الصلة بين العنوان والمضمون فعلى قارئ هذه القصص أن يستكشف الصلة بين العنوان والتمثل حين يعرف أن القصة على لسان الحيوان، وفي هذا توجيه من القاصة للتركيز على معان بعينها وعلى الموقف أكثر من الشخصية ، فقد " يحيل العنوان إلى مضمرات كامنة في ذهن المبدع حين يشترك مع المتلقي في تشكيل الرؤية إلى العالم، فضلا على أن عملية الإضمار تحمل دلالات سيميولوجية توحى بها علامة العنوان، والتمثيلات التي تحملها عملية التلقي، والتي تزداد وضوحا عند قراءة النص القصصي القصير جدا"² فعند قراءة قصة نبل !:

أقفرت الغابة من الطعام ..تضور الأسد جوعا..بعد جهد غم بغزال صغير ،أكل منه قدر ما يخدم لهف جوعه ، غفا تاركا الباقي للضبع وفراغله، سخطوا عليه أن لم يشبعوا ...حين أفاق لم يجد أشباله³ نكتشف أن النبل هو نبل الأسد الذي فكر في غيره ولكن الضباع لم يثمر فيها هذا النبل فأخذت أشباله حتى تكمل شعبها...كما تتناص القفلة بشكل مبتكر مع نص الديناصور، فالمتن هنا يشرح العنوان ويفسره.

وهذه العناوين تنسجم مع النص لأنها تشكل رأس العمل القصصي ومنارته، وهي أيضا لافتات عريضة لا تخوض القاصة كثيرا في شرحها وتفسيرها داخل النص وهو ما نلاحظه في قصة بيت القصيد⁴ فهناك انقطاع واضح بين المتن والعنوان :

جلالته صاحب الناب الساطع والمخلب الخاطف استدعى نعجة يحاكمها أن شربت من وادي بني جلدته
فَعَكَرت صفوه

_قال: ما خطبك ؟

¹ جميل حمداوي: من أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جدا:المقاربة الميكروسردية، ط1، 2017، ص223.

² محمد يوب: مضمرات القصة القصيرة جدا، منشورات دفاتر الاختلاف، مطبعة سجلماسة، مكناس، المغرب، ط1، 2021،

ص31-40.

³ أجراس، ص50.

⁴ أجراس، ص 06.

أنسنة الحيوان في القصة الجزائرية القصيرة جدا قصص سعاد صايبه أنموذجا

ـ قالت: جلالتك ! كنت أسفل الوادي وكانوا أعلاه

ـ قال: إن لم تكوني أنت فأحد أخلافك!

ـ قالت: أنا عقيم

ـ قال: فأحد أسلافك!

ـ قالت: هلكوا جميعهم

ـ قال: إن لم يكن هذا العام فالعام الماضي...!

ووثب عليها .

فبداية النص ووسطه لا توحى بهذا الارتباط بين العنوان والمتمن مما يدعو القارئ إلى إمعان النظر أكثر في الدلالات المتخفية وراء القصة والبحث عن الرابط بينها وبين العنوان فيجده في النهاية مع القفلة فبيت القصيد من استدعاء النعجة التهامها لا اتهامها، فرد جلالته كل حججها وتوصل إلى مقصده بحجة واهية قد تكون كاذبة، وهذا ما يتوافق مع عملية القراءة حيث يستمر القارئ في تتبع تهم صاحب الناب الساطع و ردود النعجة المفحمة حتى يصل إلى النهاية ويربطها برأس النص (العنوان)، وقد كان واضحا في جل القصص إن لم يكن في كلها أن " العنوان هو بؤرة المتن حضورا وغيابا، وهذا يشير إلى أن حجم القصة القصيرة جدا لابد أن يفضي إلى إفراز هذا العنوان أو إنتاجه، بصفته خلاصة القصة أو زبدتها أو القلب الذي تنبض من خلاله" ¹ وهكذا فهذه القصص تعمل على إنتاج المتن كخلاصة أو عبارة القصة أو القيمة التي تدافع عنها، وعلى القارئ من خلال قراءته المتن البحث عن الصلة الرابطة بين المتن وعنوانه، فعند النظر إلى هذه العناوين في دلالاتها كمفردات فإنها تبدو عادية ولكن عند ربطها بسياق القصة تصبح مدلولاتها أعمق وأكثف.

المطلب الثالث: أنسنة الحيوان في قصص سعاد صايبه (القصص بلسان الحيوان في مجموعة أجراس)

يوظف السرد الحيوانات في سياقات مختلفة للتعبير عن نماذج بشرية بكل صفاتها الخلقية والعقلية وذلك لبلوغ غايات سياسية واجتماعية وثقافية وفنية ، وقد وظفت القاصة عددا من الحيوانات يوضحها الجدول التالي :

الحيوان :	القصة التي ورد بها :	الحيوانات التي وردت معه :
-----------	----------------------	---------------------------

¹ عز الدين المناصرة: القصة القصيرة جدا، رؤى وجماليات، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2015، ص10.

أنسنة الحيوان في القصة الجزائرية القصيرة جدا قصص سعاد صايبة أنموذجا

الذئب	بيت القصيد ص: 6 ، تواؤم ص: 7 حنكة ص: 23، رجم ص: 27	نفس القصص: النعجة، الخروف، النعاج ، خراف
الثعلب	تصويب ص: 8، تضليل ص: 14 طباع ص: 32، قضي بينهما ص: 44	الكلب والدجاج في طباع، القرد والخنزير في قضي بينهما.
الغراب	شرخ ص: 30، عزاء ص: 36	الحمامة في عزاء
البومة	تيم ص: 17	الغراب
الأسد	نبل! ص: 50	الضبع
الأرنب	جوهر ص: 20	/
المعاز والكبش	لايستويان ! ص: 46	/
القطعة	المؤهل ص: 50	الخنزيرة ، القرد

المصدر: الباحث

نلاحظ أن القاصة استعملت العديد من الحيوانات بعضها مؤتلف ومرتبطة في مخيالنا كالذئب والنعاج والثعلب وعدائه للمزارعين المربين للدجاج ، وبعضها مختلف كالجمع بين الغراب والحمامة والغراب والبومة وهذا للتعبير عن التناقض الحاصل في الواقع الاجتماعي والسياسي .

ففي قصص: بيت القصيد وتواؤم وحنكة ورجم وظفت حيوانين مترابطين ولم يخرج كلاهما عن الصفات التي عرفا بها، فبدى الذئب مأكرا مخادعا، ورغم أنها لم تصرح باسمه في بيت القصيد واكتفت بوصفه (جلالته صاحب الناب الساطع والمخلب الخاطف) وهذا الوصف ينطبق على الذئب خاصة أن الحيوان المستدعي كان النعجة التي بدت ضعيفة مغلوب على أمرها ، وقد أرادت القاصة نقد السلطة السياسية التي تسلط قوتها على الضعفاء فقط وتلفق التهم لهم ، وقد تضافرت المقدمة لتؤكد هذه النتيجة في القفلة :
مقدمة : جلالته صاحب الناب الساطع والمخلب الخاطف

قفلة : ووثب عليها.

فمن خلال هذه القصة نتقد القاصة ثقافة الاستبداد والظلم ونقد الطبائع التي تستبيح الوسائل من أجل الغايات، أما في قصة (تواؤم) فإنها تستحضر نموذجا بشريا شديدا الحضور في مجتمعاتنا فالذئب هنا ليس شخصية بل طباع تطبعت بها الشخصية الإنسانية حتى صارت ذئبا في مكرها وخداعها وتصيدا لفرائسها:

عاش ذئبا... رأى ذات جولة نعجة، شدته وداعتها. عزم ، لبس ثوب الخروف برفقتها أبدا. دنا منها يتودد.... عرضت عليه تفاحة هوى الثوبان .

إن القصة تصور النفاق الاجتماعي والادعاء الأخلاقي، فكلاهما لبس ثوبا غير ثوبه وادعى أخلاقا غير أخلاقه، ولكن مازالت تفاحة آدم تكشف المساوي وتعرينا أمام حقيقتنا الهشة ، فالقفلة (هو الثوبان) تصدم القارئ الذي تعاطف مع النعجة (المرأة) وتستدعي قصة سيدنا آدم وأمنا حواء عندما نزلا من الجنة بعد أن أزلهما الشيطان وأكلا التفاحة التي تحولت لرمز لعودة البصيرة وانكشاف الحقيقة، قال تعالى " فأكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعص آدم ربه فغوى "¹، وهكذا كانت التفاحة رمزا لسقوط الإنسان من الآدمية البشرية إلى الحيوانية الغرائزية فعندما يحتكم الإنسان إلى غرائزه يصير أقل من الحيوان (عاش ذئبا) وفي سبيل شهوته يخسر جوهره ويلبس الأقنعة (لبس ثوب خروف) ولكن تأتي لحظة الحقيقة فيتعرى أمامها (هوى الثوبان) ، فالقفلة ترتبط بالعنوان بل وتعبّر عنه.

أما في قصة (حنكة) تسلط القاصة قلمها لنقد تخلي المسؤولين وفرارهم حين المصائب :
" حام الذئب حول الزريبة ..توارى الراعي بين النعاج، ثم فكر: ربما ظنني الذئب خروفا!.. تسلل من بينهم و أشرع له الباب...) ففي القفلة تحدث مفارقة صارخة ومغالطة فاضحة في كون التخلي عن المسؤولية وقت الضيق يعد حنكة، كما خلقت لفظة (الراعي) مفارقة أخرى، فالراعي يسهر على أمن رعيته ولا يتركها تواجه مصيرها، يتصدع المعنى مع تسلل الراعي من الزريبة محدثا في نفس القارئ الدهشة والسخرية

" وهذه السخرية ترفد القص بجملة من الخصوصيات بعضها يتعلق بالتعدد الدلالي وإمكانية تنوع التأويل دون أن ننسى الطرفة وأثرها في المتلقي والتشويق الذي هو أحد خصائص القص"²
أما الثعلب فقد جاء ذكره في أربع قصص: تصويب وتضليل، طباع وقضي بينهما ولم يخرج الثعلب عن صفات الحيلة والمكر و الخديعة فهو "سبع جبان مستضعف ذو مكر وخديعة، ومن حيلته في طلب الرزق أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده "³ كما أنه معروف في الثقافات الشعبية أنه عدو لمربي الدجاج، وقصة (طباع)تروي معاناة راع مع ثعلب وذلك لأن كلبه كسول نوام، فعاقبه بالتجويع ونصب فخا للثعلب وفي الليل وجدهما يتجاذبان دجاجة، فالكلب

¹ القرآن الكريم : سورة طه الآية 121.

² أحمد جاسم الحسين : القصة القصيرة السورية ونقدها في القرن العشرين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001،

ص251.

³ كمال الدين محمد بن موسى الدميري : حياة الحيوان الكبرى، أوتوسنراد، دمشق، 1992، ص33.

هنا أحدث مفارقة في كون الكلب مثال للوفاء لصاحبه ولكن هذا الكلب كان انتهازيا فالثعلب سيأخذ التهمة بدلا عنه ، فهذه القصة تنسف الأمثال عرض الحائط كالمثل الشعبي " جوع كلبك يتبعك " وهو نموذج بشري للانتهازيين في كل مكان .

وتواصل القاصة تعرية ونقد النفس البشرية في قصة (تضليل)، فحين يعجز الثعلب عن الوصول إلى قطعة اللحم يقنع نفسه بأنها نتنة ولا تناسب مقامه، فالإنسان حين يعجز عن الوصول إلى الشيء يأخذ في انتقاده والانتقاص منه كهدف وهطا لتبرير عجزه أو قلة حيلته وصبره.

وفي قصة (قضي بينهما) يظهر إلى جانب الثعلب القرد والخنزير، عندما يتقادحان حول من منهما أشرف ويحتكمان إلى الثعلب فيقضي بأن يتصاهرا، ويرتبط القرد والخنزير في ثقافتنا الإسلامية بالعقاب والمسوخ والعذاب وهو السياق الذي ذكرنا فيه في القرآن الكريم " قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل"¹ فالثعلب بمكره أراد بصلحهما ومصاهرتهم أنهما متشابهان في الشرف، وقد أدت هذه القفلة إلى التهكم والسخرية والتعريض وإدانة ضياع القيم في المجتمع وادعاء الأخلاق والشرف " فالسخرية ناجمة عن ألم، ولها وظيفة انتقادية رافضة للواقع أو مصححة له، لا إضحائية فقط"² وتستمر القاصة في نقد سياسة المجتمع التي يمارسها على المختلفين والمميزين في قصة (تصويب) يبدو الثعلب بذيل أكثر من البقية فتسعى الجماعة إلى تصويب هذا التقوس وكأنه خطأ ولما فشلوا عمدوا إليه بالساطور وقطعوه، وقد اختارت القاصة لفظة (أبصرهم) لوصف من قام بالقطع، فصاحب البصيرة هو الحكيم والأعرف بالقوانين والأحرص على الأعراف والتقاليد في الجماعة ، فالقاصة تنقد من خلال القصة سياسة للقطيع التي يتبعها المجتمع في نبذ المختلفين والمميزين فيسعى إلى تنميطهم فيعيق الخلق والإبداع.

وقد وظفت القاصة الطيور وجمعت ما لا يجتمع في الطبيعة (الغراب والحمامة) في قصتي: عزاء وشرخ، وقد حمل النسان حمولة دلالية متأتية من التراث الديني والإنساني والإسلامي في قصة الطوفان وقصة الخطيئة الأولى للبشرية (قتل قابيل لهابيل) ؛ وقد زاجت القاصة بين القصتين :

" حطَّ غراب على مؤذنة المسجد حزينا بثوب حداده، ومازال نادما على قتل أخيه يردد: واحسرتاه!..

حطَّت حمامة بقرية تواسيه: جف غصن الزيتون ولم أجد له عنوانا!"³

¹ القرآن الكريم: سورة المائدة الآية 30.

² سمر جورج الديوب : النص المفتوح: القصة القصيرة جدا أنموذجا، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، مج 36، ع 142، 2018، ص20.

³ أجراس، ص 36.

أنسنة الحيوان في القصة الجزائرية القصيرة جدا قصص سعاد صايبه أنموذجا

إن لفظة (غراب) و(قتله أخيه) تستدعي إلى الأذهان جريمة القتل الأولى بين ابني آدم، حين شعر قابيل بالغيرة من هابيل لما تقبل الله قربانه، فقام إليه وقتله وعندما عجز أرسل الله غرابا ينبش في التراب ليواري غرابا آخر، قال تعالى " فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه " ¹ فالغراب أدى دور المعلم في القصص القرآني ولكنه في هذه القصصية القصيرة جدا مذنب لا ينفعه ندم ولا حسرة. أما الحمامة لم تجد لغصن الزيتون عنوانا، فجف الغصن دليل النجاة، فسيدنا نوح عليه السلام مان يرسل الحمام بعيدا ليعرف هل جفت الأرض من الماء أم لا ؟ فعادت حمامة له حاملة غصن زيتون وتحمل في ساقها بعض الطين، وهذا يدل على جفاف الأرض من ماء الطوفان وعودة الحياة ²، تثير هذه القفلة الدهشة المطلوبة فالحمامة لم تجد لغصنها عنوانا ذلك أن الجريمة الأولى قد قتلت الناس جميعا، كما تبدو هذه القفلة سوداوية لانتصار الشر على الخير ولا عزاء كاف لهذا المصير، وتؤكد مرة أخرى انتصار الأنانية البشرية في محطات عديدة من تاريخ البشرية انطلاقا من بدايتها، ولعل الواقع السياسي والاجتماعي للعالم هو ما جعل القاصة ترسم للبشرية هذا المآل.

وتعود القاصة إلى قصة الطوفان في قصة (شرح) وتحدث فيها صدعا وتغير من سرديتها : "ضيع الغراب القديم غصن الزيتون الغض، فلزم الناجون أعلى الجبل، وظل الغرقى ينحتون في الطين بيوتا.."³ فسيدنا نوح عليه السلام لما كان في السفينة بعث للغراب ليكشف له هل ظهر من الأرض موضع، فوقع على جيفة فلم يرجع إليه ⁴ فقد ارتبط الغراب برمزية الرائد المستكشف الخائب من الأدلة في أساطير العرب ولكن القاصة تغير السردية وتشير إلى أن سبب عدم عودته هو تضييعه للغصن، فبقي الناجون أعلى الجبل، إن القاصة تزيل التهمة عن الغراب التي التصقت به حكاية الطوفان، وأنهت النص بقفلة مدهشة حين جعلت الغرقى ينحتون بيوتا في الطين بعد أن نحتوها قبل الغرق في الصخور، تنبهنا القاصة أن التاريخ البشري ليس صحيحا دوما فقد تكون بعض تفاصيله خاطئة مما دفعنا إلى تشوي الكثير من الشخصيات، و الق الق جدا تعيد سرد هذه التفاصيل التي غفل عنها التاريخ وتقتنصها وتعيد سردها وفق رؤية جديدة تغير رؤيتنا لها وللحياة كلها

¹ القرآن الكريم : سورة المائدة الآية 29-30.

² أبي الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، السعودية، ط3،

1988، ص111-112.

³ أجراس: ص 30.

⁴ محمد عجينة، المرجع السابق، ص 302.

الخاتمة:

إن عالم الحيوان بتنوعاته جذب الإنسان منذ القدم فاستعاره كقناع لضرب الأمثلة والعبر، وهذا لم يقتصر على ثقافة دون غيرها بل عرفته كل الثقافات باختلاف الطرق التي استغلت بها إمكاناته، ومنها الثقافة العربية التي وظفت الحيوان وانتبهت لشراء عالمه سواء في تراثها الشفهي أو الكتابي.

كان السرد بأجناسه المختلفة شعرا وقصة ورواية حاضنا للسرد بلسان الحيوان وذلك للرمزية التي يمنحها والحرية السردية؛ ومن بين الأجناس القصصية الحديثة التي وظفت الحكيم بلسان الحيوان نجد القصة القصيرة جدا وهذا منذ بداية ظهورها.

إن القصة الجزائرية (سعاد صايبة) وعبر الجنس السردى الجديد القصة القصيرة جدا وباستعمال تقنية أنسنة الحيوان الأقرب إلى التكثيف اللغوي والجرأة التصويرية، استطاعت أن تحول هذه الحيوانات إلى نماذج بشرية عبر جعلها تتحاور وتشعر وتفكر، ومن خلال رمزية هذا التصوير عبرت هذه القصص عن قيم اجتماعية وسياسية وفلسفية وأفكار عن النفس البشرية واستطاعت من خلالها نقد المجتمع ورفض الواقع ومحاولة تصحيحه.

إن تقنية أنسنة الحيوان فعالة في القصة القصيرة جدا لأنها تقوم باقتناص مشاهد من الحياة قد لا يناسبها الأسلوب المباشر، لأن الحكيم بلسان الحيوان الفرصة للتعبير عن المسكوت عنه في السياسة أو التاريخ، وعبر استعارتها للحيوان تتقاطع القصة القصيرة جدا مع المثل لأنه يعبر عن معنى عميق عبر حكاية مقتضبة، ومع النادرة من خلال سخريتها الهادفة، ومع حكاية الأطفال ببساطتها ووهيمتها، وعبر هذه الاستعارة تتحول القصة القصيرة جدا إلى لوحة فنية تتطلب التأمل والتفكير العميق في المعاني التي عبرت أو أرادت التعبير عنها.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب

1. أحمد شوقي: ديوان الشوقيات، الجزء الرابع، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1961.
2. جبران خليل جبران: المجنون، تر: أنطونيوس بشير، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1985.
3. سعاد صايبة: أجراس، وهج للإعلام، الثقافة والفنون، المسيلة، الجزائر، ط1، 2023.
4. عبد الله بن المقفع: كليله ودمنة، منشورات نوميديا، قسنطينة، الجزائر، 2011.
5. شرح ديوان امرؤ القيس: تحقيق حسن السندوبي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1990.

6. أبي الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، السعودية، ط3، 1988.
7. أحمد جاسم الحسين: القصة القصيرة السورية ونقدها في القرن العشرين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
8. أحمد جاسم الحسين: القصة القصيرة جدا، مقاربة بكر، منشورات دار عكرمة، دمشق، 1997.
9. جاسم خلف إلياس: شعرية القصة القصيرة جدا، دار نينوى، دمشق، 2010.
10. جميل حمداوي: من أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جدا: المقاربة الميكروسردية، حقوق الطبع للمؤلف، ط1، 2017.
11. يوسف حطيني: القصة القصيرة جدا بين النظرية والتطبيق، دار اليازجي، دمشق، 2004.
12. يوسف حطيني: دراسات في القصة القصيرة جدا، مطابع الرباط نت، المغرب، 2014.
13. كمال الدين محمد بن موسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى، أوتوستراد، دمشق، 1992.
14. محمد أقضاض: مقاربة القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا - في أمريكا الإسبانية والعالم العربي - دار فضاءات، عمان، ط1، 2016.
15. محمد يوب: مضمورات القصة القصيرة جدا، منشورات دفاتر الاختلاف، مطبعة سجلماصة، مكناس، المغرب، ط1، 2021.
16. محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دارالفارابي، بيروت، ط1، 1994.
17. محمد رجب النجار: النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابة، فنونه، مدارسه، أعلامه، الكويت، ط1، 1996.
18. مينو، محمد محي الدين، فن القصة القصيرة: مقاربات أولى، وسوم، دبي - الإمارات، ط2، 2007.
19. مخلوف عامر: القصة القصيرة في المسار السردية، منشورات الوطن، سطيف، الجزائر، 2019.
20. عبد المالك أشهبون: العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2011.
21. عز الدين المناصرة: القصة القصيرة جدا، رؤى وجماليات، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2015.
22. عزيزة مريدن: القصة الشعرية في العصر الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988.

23. علاوة كوسة: موسوعة القصة القصيرة جدا في الجزائر، سير ونصوص، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، الجزائر ط1، 2017.
24. رابح بن خويا، ظاهرة القص القصير جدا في الأدب العربي، النشأة والتطور، دار الباحث، برج بوعريريج، الجزائر ط1، 2021.

ثانيا: المقالات

1. أمال فرفار: الكتابة المتوسلة بلسان الحيوان في الثقافة العربية (في رمزية الخرافة و فنياتها ومقاصدها) مجلة العلوم الإنسانية، مجلد أ، ع 42، ديسمبر 2014.
2. مصطفى الورياغلي العبدلاوي: القصة القصيرة جدا في أمريكا اللاتينية، تصورات نظرية ونماذج إبداعية، مجلة فكر العربية، كلمات للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ع2، ماي 2016.
3. سمر جورج الديوب: النص المفتوح: القصة القصيرة جدا أنموذجا، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، مج 36، ع 142، 2018.
4. عبد المالك مرتاض: الرواية جنسا أدبيا، مجلة الأقلام العراقية، ع11، 12، 1986.
5. عفيف عبد الرحمن: الحيوان في الأمثال العربية القديمة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج 5، ع19، 1985.